

محرك المنظومة القيمية في ظل الاحتلال الإعلامي - مقارنة تحليلية -

Engine of the Value System Under the Media Inroad – analytical Approach

جمال زاوي
أستاذ بجامعة المدينة
doczaoui@gmail.com

ملخص

في هذه المقاربة التحليلية، سيثبت الباحث أن العقل هو محرك المنظومة القيمية للفرد، وهو الأساس الذي تبنى عليه سائر التفضيلات بين القيم والمبادئ والاختيارات، التي تظهر في شكل سلوكيات وتصرفات، كما سيبين الباحث أهمية العقل ودوره في حياة الأفراد، فهو يكتسي أهمية بالغة جعلته محط أنظار، وجعلته مستهدفاً من طرف مختلف الوسائل الإعلامية التقليدية والحديثة على حد سواء، مستخدمة في ذلك مختلف الأساليب والاستراتيجيات الهادفة إلى التأثير على هذا الأخير، للتحكم أكثر في الأفراد والسيطرة على توجهاتهم وآرائهم، في حرب ضد محرك المنظومة القيمية أشبه ما تكون بالاحتلال الناعم الذي افرز العديد من العقول المعتلة، والمريضة، والمدمنة، والسطحية... وغيرها، بالإضافة إلى انعكاسات هذه الأخيرة على المنظومة القيمية، التي باتت تتخبط في عدة أزمات قيمية وأخلاقية، تهدد حياة الفرد من جهة، والمجتمع من جهة أخرى.

الكلمات الدالة: العقل، القيم، التضليل الإعلامي، الاحتلال الإعلامي.

Abstract

in this analytical approach, the researcher will prove the mind is engine of the value system, and it is the basis of preference between values, principles and choices, which appear in form of actions and behavior, as the researcher will show the importance of the mind and its role in the live of individuals, because he represents a great importance that made him focus of attention, and made him targeted by traditional and new media using various methods and strategies aimed to effect on the mind, for the good control of individuals and control their attitudes and opinions, in a war against the engine of the value system is like a soft inroad, which produced many sick minds, addicted and superficial minds... in addition to the reflections of the latter on the value system, which are floundering in several ethical crises that threaten the individual and society.

Keywords: Mind, Value, Media Misinformation, Media Inroad.

مقدمة

- ما هي أنواع العقول التي أفرزتها وسائل الإعلام التقليدية والحديثة؟

- كيف تأثرت المنظومة القيمية بعد ضرب محررها؟

وللاجابة على هذه التساؤلات وأخرى. قسم الباحث هذه الدراسة إلى المحاور الآتية:

1- مدخل مفاهيمي.

2- العقل... محرك المنظومة القيمية.

3- عقول... من صنع الاحتلال الإعلامي.

منهج الدراسة

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي. وكما هو معلوم أن المنهج الوصفي يحتوي على الكثير من الدراسات. لذا اقتصر الباحث على الدراسة التحليلية التي تعتمد على التجريد وربط الأفكار والوقائع مع بعضها البعض. وإجراء إسقاطات على أرض الواقع لاستخلاص النتائج.

أهمية البحث

- إبراز الأهمية التي يمثلها العقل وعلاقته بالمنظومة القيمية.

- كشف الاستراتيجيات المعتمدة من طرف وسائل الإعلام التقليدية والحديثة الهادفة إلى تضليل العقل البشري.

- إبراز التأثيرات الخطيرة الحاصلة على مستوى العقل. والتي أفرزت الكثير من العقول المريضة.

- إبراز الأهداف المضرة من وراء استهداف محرك المنظومة القيمية.

مدخل مفاهيمي

1. التضليل الإعلامي

يقصد به "الاستعمال المقصود بهدف تغليب إدراك الدريئة للواقع. كما يهدف إلى سواء تضليل الخصم أو التأثير على الرأي العام. أو لجعل الدريئة تستوعب بعض المعتقدات التي كانت ترفضها من قبل. أو تقدم الكذب كحقيقة".

2. العقل

العقل هو العلم الأول الذي يزرع عن القبائح. وكل من كان زاجره أقوى كان أعقل. وقال بعضهم: العقل يمنع صاحبه من الوقوع في القبيح. وهو من قولك عقلت البعير إذا شده ومنعه من أن يثور⁽¹⁾. وهذا معناه أن العقل هو الذي يمنع صاحبه عن القيم السلبية. ويلجمه عنها. وفي المقابل يحثه على التمسك بالقيم الفاضلة والأخلاق السامية.

"إن محور الفكر السقراطي الذي تبناه المفكرون الإغريق المتأخرون بتفاوت في الوضوح. يقوم على المماثلة بين الشر واللاعقلاني (L irrationnel). فلا احد يقترف الشر إلا عن جهل. وإنما شرط الفضيلة الأول هو إعمال العقل"⁽²⁾.

أصبحت وسائل الإعلام تشغل حيزا كبيرا في حياة الفرد. فهو يستقي منها المعلومات التي يحتاجها في حياته اليومية. ويعتمد عليها في تشكيل مواقفه. وتكوين اتجاهاته. كما تعتبر فضاء خصبا لعرض مختلف الأفكار والآراء. وكل ذلك لا يسلم من تسريب بعض القيم بطريقة أو بأخرى. تجعل الفرد يتأثر بها سواء كان واعيا بذلك أم لا.

فالقيم تعتبر بمثابة الموجه الذي يوظف حياة الفرد. ويحكم تفكيره. ويحفظ توازنه النفسي. وتشكل شخصيته. كما تعمل على توجيه سلوكياته. وتعديل تصرفاته وفق ما يتماشى وتحقيق الرضا الاجتماعي. والاستقرار والتماسك الذي يقي المجتمع من مختلف الصراعات والتناقضات التي تؤدي إلى إضعافه. وكبح تطوره. وفرملة ازدهاره.

ولما كانت القيم بهذه الأهمية أسالت لعاب الكثيرين للتأثير عليها والتلاعب بها. فلم يجدوا إليها سبيلا ولا طريقا أفضل من ضرب الأساس الذي تقوم عليه. والمحرك الذي يعمل على تشغيلها. والمتمثل في العقل. فهو بمثابة الأداة التي يميز بها بين القبيح والحسن. وهو أساس المفاضلة بين الأشياء. حيث يعتبره الكثير من المختصين أساس القيم والأخلاق. فإذا استطاعت هذه الوسائل التأثير على عقل الفرد فهي حتما ستتمكن من السيطرة على أفكاره ومعتقداته. ومن ثمة الانتقال إلى توجيه سلوكياته وتصرفاته وفق ما يتماشى والأهداف الخاصة التي وجدت من أجلها هذه الوسائل.

في هذه المقاربة سنسلط الضوء على أهم التأثيرات التي تسببها وسائل الإعلام على محرك المنظومة القيمية. وذلك بإظهار مختلف الأساليب المستخدمة للتحكم في العقول. والآليات المعتمدة للسيطرة عليها. وتوجيهها وفق ما يخدم المصالح الخاصة والأهداف التي وضعت من أجلها مثل هذه الوسائل. فهي لا تختلف كثيرا عن بعضها البعض من التقليدية إلى الحديثة... لم يكن اختراعها بريء. ولا هدفها نبيل. فهي تعمل مجتمعة على توجيه العقول والسيطرة على طريقة التفكير. وقولبة الإنسان وتنميته في ظل التداعيات الراهنة التي تشهددها الساحة الإعلامية والثقافية والسياسية والاقتصادية. وهذا يقودنا إلى طرح السؤال المحوري الآتي:

كيف أثرت وسائل الإعلام التقليدية والحديثة على محرك المنظومة القيمية؟ وما هي أنواع العقول التي أفرزتها هذه الأخيرة؟

وتنبثق من هذا السؤال المحوري مجموعة من التساؤلات الفرعية التي يمكن إيجازها فيما يلي:

- ما هي الأهمية التي يكتسبها العقل البشري؟ وما الذي جعله محط أنظار الجميع؟

- ما هي الآليات والاستراتيجيات المعتمدة من طرف وسائل الإعلام لتضليل العقل البشري؟

العقل للعبور من حال جهل إلى حال علم. وهناك آيات كثيرة تنتقد الذين لا يستعملون عقولهم للتمييز للتمييز بين الحق والباطل، بين الخير والشر. من ذلك قوله تعالى في انتقاد التقليد والإعراض عن تحكيم العقل: «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أفينا عليه أبائنا، أولو كان أبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهدون، ومثل الذين كفروا كمثل الذين ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون» (البقرة 170-171). وقوله في تأنيب المشركين لكونهم لا يميزون بين الحق والباطل بالمعنيين الأخلاقي والمعرفي معاً: «لهم قلوب لا يفقهون بها، ولم أعين لهم بصيرون بها، ولم أذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون» (الأعراف 179). وواضح أن القلب والعقل هنا بمعنى واحد. ولا يفقهون يفسرها: (الغافلون). والمعنى القيمي واضح في الكلمتين معاً⁽⁸⁾.

ومن الأحاديث التي تربط بين العقل والأخلاق حديث جاء فيه: (كرم الرجل دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه) فجعل المروءة وهي جماع مكارم الأخلاق مرتبطة بالعقل. لا بل جعل العقل أساساً لها. وهناك حديث يقول: (لا يعجبكم إسلام امرئ حتى تعرفوا معقود عقله). وحديث آخر ورد فيه: (العقل نور في القلب. نفرق به بين الحق والباطل. وبالعقل عرف الحلال والحرام. وعرفت شرائع الإسلام ومواقع الإصلاح. وجعله الله نوراً في قلوب عباده يهديهم إلى هدى ويصدهم عن ردى)⁽⁹⁾.

أما الأقوال المأثورة التي تؤكد أن العقل محرك القيم وأساس الأخلاق فكثيرة ومتنوعة. منها أن عمرو بن العاص قال: «ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر. ولكنه من عرف خير الشرين». وقال آخر: (العقل يأمر بالعباد والالتقوى واليه يأوي الحلم حين يؤول. فان استطعت فخذ بفضلك فضله. إن العقول يرى لها تفضيل). ويقال: (لا شرف إلا بالعقل). ويلخص قول آخر مجمل المعاني السابقة في العبارة التالية: (إذا عقلت عقلك عما لا يعينك فأنت عاقل). والاهم من ذلك... هذا القول: (لا مروءة لمن لا عقل له). ذلك لأننا اخترنا المروءة كتنمية مركزية في الموروث العربي (الخلص) كله... فإذا كان نظام القيم الخاص بهذا الموروث يتمحور كله حول (المروءة). وكان (لا مروءة لمن لا عقل له). فان ذلك يعني أن لا أخلاق لمن لا عقل له. وبالتالي فالعقل أساس الأخلاق⁽¹⁰⁾. وعليه. فانه لا قيم لمن لا عقل له. لأنه فقد المحرك الذي يعمل على المفاضلة بين القيم. وفقد الأساس الذي يتم من خلاله التعرف على القيم الإيجابية من القيم السلبية. وبالتالي يصعب على الفرد أن يميز الحسن من القبيح. والصواب من الخطأ. والخير من الشر. والفضيلة من الرذيلة. والمعروف من المنكر.

عقول... من صنع الاحتلال الإعلامي

1- العقل المعتل

تتسبب وسائل الإعلام في إعتلالات عقلية خطيرة خاصة لدى صغار السن "فهي تتسبب في انقطاع العقل عن التفكير المنطقي، والخمول الذهني، وتعطيل ذكاء الطفل، وإطلاق العنان غير

القيم وفق معاجم اللغة جمع لكلمة قيمة وهي ثمن الشيء بالتقويم، وهي تحمل معاني متعددة منها القدر أي الثمن والاستقامة، وقد ورد مصطلح الاستقامة والمستقيم في القرآن بمعنى الهداية والطريق المستقيم⁽³⁾.

كما أن "القيمة" واحدة القيم، و(قوم) السلعة تقويماً، وأهل مكة يقولون استقام السلعة وهما بمعنى واحد. و(الاستقامة) الاعتدال يقال استقام له الأمر. وقوله تعالى: (فاستقيموا إليه) أي في التوجه إليه دون آلهتهم. وقوم الشيء تقويماً فهو قويم أي مستقيم⁽⁴⁾.

وعليه. فان القيم تحمل عدة معاني في اللغة العربية منها: القدر أي قدر الشيء بمعنى قيمته وثنه. كما تعني الاستقامة أي من تحلى وتمسك بها فإنها تهديه إلى الطريق المستقيم. وهي ما يستدل به على أهمية الأشياء والسلوكيات إن كانت ذات شأن أم لا.

أما اصطلاحاً فقد عرفها ريمون بودون بأنها: "تعبير عن المبادئ العامة، والاتجاهات الأساسية، وعن التفضيلات الجماعية، فصي كل مجتمع يتم تحديد الأهداف انطلاقاً من المرغوب فيه، ويظهر في المثل الجماعية، وهذه القيم الموجهة نسقياً تظهر غالباً كمعطيات غير قابلة للتقليص، ونواة ثابتة ومجموعة من المتغيرات المستقلة"⁽⁵⁾. أي أنها الأساس الذي يستطيع من خلاله المجتمع تحديد الأشياء والسلوكيات المرغوبة. وتظهر وفق إجماع كلي حول قيمتها وصلاحتها. ويتم تبنيها من طرف الجماعة.

كما عرفها كلوكهون بأنها "تصور أو إدراك واضح أو ضمني يميز الفرد عن الجماعة للمرغوب فيه الذي يؤثر في انتقاء الطرق الممكنة والوسائل وغايات العقل، ويذهب إلى أن القيم هي بمثابة حقائق ثقافية وسيكولوجية من نمط معين يمكن كشفها وتحليلها، ويعني ذلك أن الإنسان يقوم بملاحظة ما يفعله الآخرون وما لا يفعلونه، كما يلاحظ ما يعجز أو لا يرغب الناس في قوله"⁽⁶⁾.

العقل... محرك المنظومة القيمية

إن (العقل العربي) تحكمه النظرة المعيارية للأشياء. بما في ذلك نظرته إلى العقل نفسه. ونحن نقصد بالنظرة المعيارية ذلك الاتجاه في التفكير الذي يبحث للأشياء عن مكانتها وموقعها في نظام القيم الذي يتخذه ذلك التفكير مرجعاً له ومرتكزاً. ومن هنا ذلك (الإجماع) في الثقافة العربية على اعتبار العقل أساساً للأخلاق. هذا (الإجماع) يؤسسه المعنى اللغوي لكلمة عقل. ابتداءً. هذا فضلاً عن أن القرآن دعا العرب إلى استعمال العقل. ليس فقط من أجل استنتاج وجود الله نفسه من خلال مخلوقاته: العالم وظواهره وأشياءه. بل أيضاً للتمييز بين الخير والشر. والحسن والقبيح. والحق والباطل⁽⁷⁾.

إن القرآن الكريم يدعو صراحة إلى الاعتبار. وهو استعمال

من مختلف المواد الثقافية "لا تلقي سوى القليل من الضوء على الأسباب الحقيقية، ثم تستعيز عن الاستيضاح العميق لتلك الأسباب بكم كبير من الفعل السطحي"⁽¹⁵⁾.

كما أنها تركز وباختصار على "كل هذا الذي يمكن أن يخلق اهتماما بحب استطلاع بسيط، والذي لا يتطلب أي كفاءة خاصة مسبقاً"⁽¹⁶⁾. وبالتالي فإن العقل يتعود على التسطیح والتفكير البسيط وبمرور الوقت يتحول إلى عقل سطحي. لأن الأحداث المتفرقة تهدف إلى "خلق اهتمام بالغ بمداهنات الغرائز والشهوات الأكثر بدائية (بموضوعات مثل خطف الأطفال والفضائح القادرة على خلق نوع من السخط الجماهيري). بل يمكن أن تؤدي إلى أشكال من التبعية العاطفية والخيرية تماما أو إلى كل ما هو غريزي لكن عدواني وقريب من الإعدام الرمزي التعسفي"⁽¹⁷⁾.

4- العقل العاصي

"إن المعاصي تفسد العقل. فإن للعقل نورا، والمعصية تطفئ نور العقل. ولا بد. وإذا طفئ نوره ضعف ونقص. وقال بعض السلف: ما عصى الله احد حتى يغيب عقله. وهذا ظاهر فانه لو حضر عقله لحجزه عن المعصية. وهو في قبضة الرب تعالى وتحت قهره. وهو مطلع عليه. وفي داره وعلى بساطه. وملائكته شهود عليه ناظرون إليه. وواعظ القران ينهاه. وواعظ الإيمان ينهاه. وواعظ الموت ينهاه. وواعظ النار ينهاه. والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها. فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به ذو عقل سليم"⁽¹⁸⁾.

إن نشر المعاصي من فيديوهات فاضحة. وأغاني ماجنة. وصور خادشة. ولقطات مخلتة بالحياء. في مختلف وسائل الإعلام. خاصة من طرف أعداء هذه الأمة من الكفار الذين لا يؤمنون أصلا بوجود النار التي ستعذبهم يوم القيامة. ليدعو إلى الشك والريبة. ما هدفهم من وراء إيقاعنا في المعاصي؟ هل هدفهم أن ندخل النار؟ طبعاً لا. لأنهم لا يؤمنون بها أصلاً. إذن ما هو الهدف من وراء نشر المعاصي؟ إن الإجابة واضحة تماماً. فهي متمثلة في إفساد عقولنا وتخريبها وتدميرها حتى تسهل قيادتنا. ويتمكنوا من التحكم فينا. والسيطرة علينا كالحیوانات التي لا عقل لها. فنشر المعاصي ليس للمعصية في حد ذاتها وإنما لضعولها السحري في إفساد العقول.

حيث أكدت إحدى الدراسات الحديثة أن الآثار السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي التي احتلت المرتبة الأولى تمثلت في "التمكن من إجراء علاقات غير شرعية مع الجنس الآخر. والإهمال في الشعائر الدينية مثل: تأخير الصلاة"⁽¹⁹⁾. وهذه النتيجة تدعم الطرح السابق.

5- العقل الاستهلاكي

إن وسائل الإعلام تركز على الترفيه والتسلية والأشياء التافهة من فضائح وجرائم واختلاسات. وأخبار لا تسمن ولا تغني من جوع. وهذا ما يؤدي إلى وأد العقل النقدي لأنه لا

المحدود لخياله، حيث اختلت الموازين عند أطفالنا بسبب ما يتعرضون له من خلال وسائل الإعلام المختلفة وخاصة منها شاشات التلفاز، فيرى الطفل رجلاً يطير في الهواء، وينسف الجبال نسفاً، ويشق القمر بيده، ليس هذا فحسب بل هو يطلق أشعة من عينه تفعل المعجزات وتدور أحداث قصص الأطفال حول المغامرات وشخصيات خرافية وهمية، ولا تهدف إلى غرس الأخلاق والقيم الصحيحة، وأعظم من هذا كله أنها تغفل وجود الله بالكلية، وذلك عندما يتحكم أبطال الفيلم في الكون ومقدراته، وهذا ما يتعارض مع احد أهم ثوابت امتنا العربية"⁽¹⁰⁾.

2- العقل المغش

يصاب العقل بهذا الداء جراء تركيز وسائل الإعلام على المواضيع العاطفية التي تخاطب العاطفة وتثير المشاعر والأحاسيس. فيتحوّل الفرد إلى التفكير العاطفي الذي يركز على العاطفة بدل استخدام العقل. ويكثر هذا التفكير (العاطفي) عند النساء.

ومن علامات تخنث العقل طريقة اللباس وحركات الجسم. حيث "لم يكن ذلك حكراً على النساء فقط بل جاء الرجال من الفنانين واخرجوا أنفسهم بإخراج فني مؤنث بدءاً من اللباس إلى تسريحة الشعر وإلى حركة الجسد حتى في اللغة حيث تخنثت اللغة عندهم مع ما في لغة الجسد وحركات اليدين والنظرات والابتسامات مما هي صيغ أنثوية تمثلها الفنانون الشباب في اللقاءات معهم وفي أحاديثهم عن أنفسهم على شاشات التلفزيون"⁽¹²⁾.

وهكذا "تتعرّز صورة التأنيث عند الشباب كما عند الشابات، وهي صورة مرسومة رسمت ثقافية محكمة، ولن تكون خياراً فردياً وذوقياً بقدر ما ستكون ضرورة ثقافية اجتماعية لأنها مستوحاة عبر الفرض الإعلامي، وكما كانت الصورة المؤنثة مرسومة شعرياً في القديم حسب نسق ثقافي مقرر، فإن التأنيث يتعرض لرسم ثقافي نسقي يترسخ عبر الصورة ويتم تعميمه حتى يصبح فرضاً وقانوناً لا يمكن تغافله"⁽¹³⁾. وما السلوك إلا انعكاس لنوع العقل وطريقة التفكير. فكل إناء بما فيه ينضح.

إن تخنث العقل وإثارة العاطفة أمر بالغ الخطورة. فهو يساهم في "تحرير التيار الانفعالي والعاطفي العام. والذي لا يستطيع احد أن يتنبأ بصورة يقينية بمساره"⁽¹⁴⁾. وهذا أشبه بثورة تقودها عصابة من المجانين بسبب تغييب العقل.

3- العقل المسطح

تعمل شبكات وسائل الإعلام على تسطيح العقل من خلال المعالجة السطحية للقضايا والمواضيع المهمة. دون التعمق في النقاش والتدقيق في التفاصيل التي تغوص بالعقل إلى أعماق الفكر. وبالتالي تتركه دائماً على السطح. وبمرور الوقت يألف العقل هذا السلوك. ويصعب عليه تناول المواضيع والأحداث بتحليل معمق.

وذلك مرده إلى أن معظم المنتوجات الإعلامية بصفة عامة.

يقف عاجزا أمام هذا الطوفان المعلوماتي.

يؤكد دافيس الأخصائي في أمراض الرمد والعيون، والاختصاصي في البيولوجيا العصبية في جامعة كاليفورنيا أن "وابل المعلومات الشفهية والبصرية والمعلومات المضللة تتسبب في احتمال إحداث تلف دائم ومستمر في أذهاننا"⁽²⁴⁾. فكمية المعلومات تعمل على تخريب العقل.

والواقع "أن الرأي القائل أن المجتمع الغني بالمعلومات، والمدعوم بعتاده الآلي الحديث سوف يقضي على أمراضنا الاجتماعية الراهنة هورأي جائر ومضلل في آن واحد، فهو جائر حين يتصور أن أطفال الأقليات يتغلبون بطريقة سحرية، عندما يواجهون نضد الكمبيوتر. على سنوات الحرمان المتراكمة عبر الأجيال، وهو مضلل ومخادع حين يدع الانشغال بالتكنولوجيا والتقنيات الالكترونية يحجب الدعائم المؤسسية التي تظل مسئولة عن اتجاه وبؤرة نشاط الاستخدامات الآلية الحديثة"⁽²⁵⁾.

إن عدم ترابط تلك المعلومات وتناقضها يخل بأحد المبادئ المنهجية للعلم الصالحة للتطبيق فيما يتعلق بالنشاط الإنساني، والمتمثل في "الحتمية البيئية المتعلقة بالاعتراف بالترابط الداخلي، وعندما يتم تجاهل كلية قضية اجتماعية ما، عمدا، وتقدم نقاط متفرقة متعلقة بها بوصفها (معلومات) فإن النتائج مضمونة مقدما، وهي في أحسن الأحوال العجز عن الفهم والجهل، وفتور الشعور، واللامبالاة بالنسبة لأغلب الناس"⁽²⁶⁾.

كما تسعى وسائل الإعلام إلى تشتيت العقل وتشويش التفكير عن طريق التركيز على الأحداث المتفرقة التي يصعب الربط بينها "مخصصة مكان الصدارة - إن لم يكن كل الحيز- للأحداث المتفرقة أو للأخبار الرياضية"⁽²⁷⁾. وفي كثير من الأحيان تكون هذه الأحداث متناقضة وجد متباعدة ومتنافرة لا يستطيع العقل الربط بينها ولا تحليلها ولا فهمها. معتمدة في ذلك على مبدأ التجزيء والتقطيع الذي يضعف العقل ويشدته في نفس الوقت، ومن أمثلة البرامج التي تعمل على تشتيت العقل نجد برامج الحوار أو الرأي والرأي الآخر، التي تعتمد على استعراض العديد من الآراء التي تكون في الغالب متعارضة ومتناقضة، وتزيد من صعوبة الموازنة بينها، واستخراج الرأي الصائب من بين عشرات الآراء المتباينة.

7- العقل الجائع (المجاعة المعلوماتية)

تقوم هذه الإستراتيجية على "نقص المعلومات disinformation، وهي تقوم على التجهيل، وعدم إمداد الناس بالمعلومات اللازمة لاتخاذ قرارات صحيحة"⁽²⁸⁾. أي أن المجاعة المعلوماتية تتمثل في نقص المعلومات الصحيحة والحقيقية والمفيدة التي يحتاجها الفرد لبناء قراراته، أما كثرة المعلومات غير المفيدة، والتي لا معنى لها، ولا يتمكن من خلالها الفرد من اتخاذ موقف واضح وسليم، فهي معلومات كغذاء السيل.

يحصل على المعلومات المفيدة التي يحتاجها لممارسة العملية النقدية، وبالتالي يعمل على الاستقبال السلبي للمعلومات، وكما هو معروف في العلوم الطبيعية أن العضو الذي لا يعمل يضمحل، فكذلك العقل الذي لا يعمل يضمحل ويضعف شيئا فشيئا حتى يصبح خاملا عاطلا عن النقد البناء والتفكير الناقد، متحولا بذلك إلى عقل يستهلك كل ما يتعرض له دون أدنى نقد.

كما "أن الجمهور يفقد نتيجة لتركيز وسائل الإعلام على التسلية والترفيه والمواد الخفيفة والإثارة والمواد ذات الطابع الجنسي حقه في الحصول على المعرفة التي تساهم في تطوير قدراته العقلية والثقافية"⁽²⁰⁾.

كما أن صناعة التسلية والترفيه محملة بالقيم حيث "تضخ صناعة وسائل الاتصال ألوانا مختلفة من التسلية والترفيه، منكرة طوال الوقت وجود أي تأثير فيما وراء الهروب المؤقت من الواقع وحالة الاسترخاء المنتشية"⁽²¹⁾. لكن تأثيرها على القيم يفوق كل التوقعات، لأن الفرد يلجأ إلى الترفيه والتسلية بعد الانتهاء من العمل الشاق، والضغطات اليومية، فيسترخي لمشاهدتها، فالاسترخاء يعتبر من أهم الأساليب لتمير المعلومات إلى العقل المستهدف، كما أن الشخص المتعب يكون عقله مرهق وبالتالي فإنه غير قادر على النقد فيعمد إلى الاستهلاك اللاعقلاني لما يتعرض له من أفكار وقيم، خاصة إذا كانت هذه القيم مضمرة في طابع خيالي، لأن تأثيرها يكون اشد وأقوى على حد قول أريك بارنو الذي يرى أن مفهوم الترفيه هو "مفهوم شديد الخطورة، إذ تتمثل الفكرة الأساسية للترفيه في أنه لا يتصل من بعيد أو من قريب بالقضايا الجادة للعالم، وإنما هو مجرد شغل أو ملاء ساعة من الفراغ، والحقيقة أن هناك إيديولوجية مضمرة بالفعل في كل أنواع القصص الخيالية، فعنصر الخيال يفوق في الأهمية العنصر الواقعي في تشكيل آراء الناس"⁽²²⁾. لأنه يخاطب اللاوعي بطريقة غير مباشرة.

6- العقل المشتت (الطوفان المعلوماتي)

الطوفان المعلوماتي هي إستراتيجية تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية للتعامل مع المعلومات، فهي تعني "إغراق الشعوب بالمعلومات حيث يتم تحميل عقول الناس بالكثير من المعلومات غير المترابطة، وهي في أغلبها معلومات مسلية ذات نوعية منخفضة، وفي الكثير من الأحيان تكون متناقضة، وتعطي الانطباع بأنها موضوعية"⁽²³⁾.

فظاهر هذه الوسائل هو توفير اكبر قدر من المعلومات، وبسرعة فائقة، وفي شتى المجالات، لكن باطنها شيء آخر تماما، فمعظم هذه المعلومات تافهة، وغير صحيحة، ومتناقضة، وصعبة التحليل، وينفي بعضها بعضا، وبالتالي تؤدي إلى الإصابات بالسمنة المعلوماتية التي تضر العقل أكثر مما تفيده، كما تضر السمنة بالجسم، كما أن السرعة في تدفق المعلومات تزيد الطين بلة، حيث تضعف قدرة العقل على الفهم، وتوهن طاقته الاستيعابية، وتشتت تحليله المنطقي، مما يجعل هذا الأخير

8- العقل المدمن

أو تقدير. كذلك لا يمكن حصر أو قياس التأثير التسكيني الذي يتعرض له الوعي النقدي⁽³³⁾.

كما أن التركيز على الأحداث المتفرقة يعمل على إشاعة السلبية لأنها "يمكن أن تعبا وتشحن بتورطات ومضامين سياسية وأخلاقية قادرة على إثارة مشاعر قوية غالبا سلبية"⁽³⁴⁾.

إن العقل السلبي يجعل صاحبه يفكر بطريقة سلبية (إشارة سلبية). وبالتالي لن يحقق أي تقدم نحو الأعلى حتى وان كانت جميع ظروفه مواتية وإيجابية (إشارة موجبة) فيحدث بينهما تجاذب فينزح دائما نحو الأسفل. اما إذا غير من طريقة تفكيره نحو الايجابي (إشارة موجبة) وبمساعدة ظروفه المواتية (إشارة موجبة) فانه يحدث بينه وبين ظروفه تنافر (إشارتين موجبتين) وبالتالي يقفز إلى أعلى سلم النجاح والرفق. مع العلم أن الجاذبية الظرفية تشبه الجاذبية الأرضية فهي تجذب الفرد دائما نحو الأسفل.

كما أن الشخص الذي يحمل عقلا سلبيا ينفر منه الجميع. فهو لا يتوافق مع الشخص الايجابي بسبب اختلاف طريقة التفكير. كما انه لا يتفق حتى مع الشخص السلبي مثله. وهذا دليل الفيزياء. فكما هو معروف انه يحدث تنافر بين إشارتين سالبتين. فكذلك العقول السلبية تنفر من بعضها البعض. مساهمة بذلك في عزل أصحابها وزيادة آلامهم ومعاناتهم. وهذا ما ينعكس سلبا على القيم الاجتماعية من تفاعل وتعاون وعلاقات وغيرها من القيم.

خاتمة

بناء على ما سبق ذكره. تتبين أهمية العقل البشري الذي أكرمنا به الله عز وجل. وميزنا به عن سائر المخلوقات الأخرى. ومن عجائبه انه يتكون من أكثر من مئة مليار خلية عصبية مسئولة عن التفكير. ترتبط مع بعضها البعض وفق نظام شبكي لتسهيل نقل المعلومات والتفاعلات والعمليات الذهنية. لتشكل نظاما شبكيا يتكون من مليارات المليارات من الروابط. تفوق في تطورها وهندستها وسرعتها مختلف الشبكات الإعلامية والاتصالية بملايين الأضعاف. فعلى الإنسان العاقل أن يستغل هذه النعمة ولا يتركها عرضة للاستغلال والتخريب.

ولما كان العقل بهذه الأهمية جذب اهتمام الدارسين. وحرك رغبة المسيطرين للتحكم فيه وتوجيهه. فاعتمدوا عديد الآليات. وكثير الاستراتيجيات. لتضليل العقل البشري. وإضعاف قدرته على التفكير البناء. وضرب ملكته في الإبداع والإنتاج. وصرف اهتمامه بالقضايا التي تفيد الأمة إلى سفاسف الأمور وتفاهة الأشياء. ولم يكتفوا بهذا فحسب. بل عملوا على أن يصاب بالكثير من الأمراض والعلل من الإدمان الالكتروني والمخدرات الالكترونية التي تهاجم الخلايا العصبية بنفس الطريقة التي تهاجمها المخدرات الطبيعية.

من هذا المنبر ندعو الجميع وخاصة الشباب إلى الاستعمال العقلاني للتكنولوجيا بصفة عامة. ولوسائل الإعلام بصفة

قال الدكتور سمير مالهوترا، مدير الصحة العقلية والعلوم السلوكية أن إدمان فيس بوك يشبه إدمان الكوكايين. لأن هناك بعض المواد الكيميائية العصبية كالديوبامين التي تعمل عبر مسارات الكفاءة في الدماغ وهي المسؤولة عن الحفاظ على سلوك الشخص من الإدمان. لأن مستقبلات الدوبامين مرتبطة بالعديد من العمليات العصبية كالاستمتاع والإدراك. فإذا كانت مستقبلات الدوبامين غير طبيعية ينتج عنها الإدمان وحدوث اضطراب عصبي ونفسي للشخص. وأضاف مالهوترا أن أعراض إدمان فيس بوك تشبه أعراض إدمان المواد المخدرة. حيث يحدث خلل في نظام اللوزة العصبية ما يجعل هذا الإدمان مماثلا لعديد من أنواع الإدمان المختلفة⁽²⁹⁾. بالإضافة إلى إدمان مشاهدة التلفزيون والانترنت. حيث أصبح البعض منا لا يستطيع العيش دونهما.

9- العقل الافتراضي

أظهرت دراسة عربية أن إدمان الشباب على الاستخدام المفرط للشبكات أدى إلى فقدان المهارات المطلوبة لإقامة علاقة اجتماعية في البيئة الاجتماعية الواقعية. وتراجع الاتصال الشخصي في مقابل التواصل عبر الشبكات⁽³⁰⁾. وهذا ما يهدد الكثير من القيم الاجتماعية والدينية كالتعاون وإقامة العلاقات الاجتماعية. وصلته الرحم. والقدرة على التفاعل مع الآخرين مساعدتهم. حيث يتم تحويل العقل الواقعي إلى عقل افتراضي يتكيف فقط في العالم الافتراضي. ويقف عاجزا عن مختلف القضايا الحقيقية التي تطرح في الواقع الحقيقي.

وهذا ما تؤكده "نتائج دراسة شركة (Digital Surgeons) التي أجريت سنة 2010. التي أثبتت وجود ما يسمى: (الضمير الافتراضي). الذي تكون نتيجة استخدام الشبكات الاجتماعية"⁽³¹⁾.

إن العقل الافتراضي أو الرقمي على حد تعبير بورلين هو "ناشط عقليا ولكنه جاهل ثقافيا. أو أن هذا العقل على دراية واسعة وعالية بنفسه وبالآخرين من ناحية الاقتراب الرقمي الفوري. ولكنه نافذ الصبر وجاهل بالعالم على اتساعه بشكل يثير الدهشة"⁽³²⁾. وبما أن العقل الافتراضي جاهل ثقافيا فان هذا يجعل المنظومة القيمية للمجتمع على المحك. خاصة إذا علمنا أن الثقافة تعتبر مرسخ من مرسخات المنظومة القيمية.

10- العقل السلبي

إن السلبية هي العمود الفقري للوسائل الإعلامية. ويعتبر التلفزيون "الوسيلة الأحدث والأبعد تأثيرا في مجال إشاعة السلبية... والأمر لا يقتصر على (التهديد) البدني الواسع النطاق لعدد لا حصر له من ملايين الأجساد. فتحجيم النشاط العقلي. والذي يمثل المحصلة النهائية للعدد اللانهائي من ساعات الإرسال المملوءة ببرامج مبلدة للعقول. يفوق أي حساب

- 28- سليمان صالح مرجع سابق، ص: 337.
- 29- آلاء الفقي: احتراس.. تأثير إدمان الفيس بوك على المخ يشبه الكوكايين: (http://m.youm7.com/story/2016/2/24/.html. 05.03.2017).
- 30- محمد بن علي بن محمد السويد: استخدامات الشباب السعودي لموقع التواصل الاجتماعي (تويتر) وتأثيرها على درجة علاقتهم بوسائل الإعلام التقليدية - دراسة ميدانية على عينات من طلاب الجامعات الحكومية والخاصة في مدينة الرياض. بحث مقدم إلى: مؤتمر وسائل التواصل الاجتماعي.. التطبيقات والإشكالات المهنية، كلية الإعلام والاتصال، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 10-11 مارس 2015، الرياض، ص: 25.
- 31- فهد بن علي الطيار، مرجع سابق، ص: 219.
- 32- المرجع نفسه، ص: 39.
- 33- هربرت شيلر، مرجع سابق، ص: 37.
- 34- بيير بورديو، مرجع سابق، ص: 53.

خاصة، حتى لا نكون فريسة سهلة في أيدي أعدائنا الذين يسعون لتدمير عقولنا وتعطيلها بشتى الطرق، حتى يتسنى لهم قيادتنا كما يقاد القطيع من الغنم.

الهوامش

- 1- أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، منشورات دار الأفق الجديدة، د.ط. بيروت، 1980، ص: 76.
- 2- جيل جاستون جارانجي: العقل، ترجمة: محمود بن جماعة، سلسلة أضواء، دار محمد علي للنشر، ط1، تونس، 2004، ص: 16.
- 3- رضوان و كيفن: صراع القيم بين الإسلام والغرب، دار الفكر، د.ط، 2010، ص: 23.
- 4- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر، ط1، عمان، 2007، ص: 254.
- 5- Raymond Boudon et F. Bouricaud : Dictionnaire de Sociologie, Larousse, France, 2005, P : 234.
- 6- محمد زكريا: القنوات الفضائية والقيم الاجتماعية، مركز الإسكندرية للكتاب، د.ط، الإسكندرية، 2002، ص: 128.
- 7- محمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي - دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، سلسلة نقد العقل العربي (4)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط7، 2016، ص: 104.
- 8- المرجع نفسه، ص: 110.
- 9- المرجع نفسه، ص: 111.
- 10- محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص: 106.
- 11- معصومة المطيري: اثر الإعلام العربي على نشأة الطفل وعلاقته بالأسرة، بحث مقدم إلى: مؤتمر الأسرة والإعلام العربي: نحو ادوار جديدة للإعلام الأسري، 2-3 ماي 2010، ص: 5.
- 12- عبد الله محمد الغداهي: الثقافة التلقزيونية: سقوط النخب و بروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2005، ص: 116.
- 13- المرجع نفسه، ص: 117.
- 14- هربرت شيلر: المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، الكويت، 1999، ص: 182.
- 15- المرجع نفسه، ص: 25.
- 16- بيير بورديو: التلفزيون واليات التلاعب بالعقول، ترجمة وتقديم: دوويش الحلوجي، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، ط1، دمشق، 2004، ص: 103.
- 17- المرجع نفسه، ص: 104.
- 18- أبو عبد الله بن قيم الجوزية: الداء والدواء، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ت، ص: 147-148.
- 19- فهد بن علي الطيار: شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة (تويتر نموذجاً) - دراسة تطبيقية على طلاب جامعة الملك سعود، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد: 31، العدد: 61، الرياض، 2014، ص: 218.
- 20- سليمان صالح مرجع سابق، ص: 338.
- 21- هربرت شيلر، مرجع سابق، ص: 96.
- 22- نفس المكان.
- 23- سليمان صالح: ثورة الاتصال وحرية الإعلام، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2007، ص: 336.
- 24- ريتشارد واطسون: عقول المستقبل (كيف يغير العصر الرقمي عقولنا، ولماذا نكثر، وما الذي في وسعنا فعله)، ترجمة: عبد الحميد محمد دابوه، مراجعة: أيمن عامر، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2016، ص: 190.
- 25- هربرت شيلر، مرجع سابق، ص: 208.
- 26- المرجع نفسه، ص: 33-34.
- 27- بيير بورديو: مرجع سابق، ص: 103.